

محطات تاريخية حول مدرسة مازونة الفقهية

Historical stations about the Mazuna School

◆ هواري ملاح

جامعة وهران 1 أحمد بن بلة mellah_houari@hotmail.fr

تاريخ الإرسال: 2023/05/25 تاريخ القبول: 2023/06/21 تاريخ النشر: 2023/06/30

الملخص: يمثل تاريخ مازونة صورة مصغرة من تاريخ الجزائر، حيث اشتهرت بمدرستها الفقهية المالكية التي كانت درجة كبيرة من الأهمية في الغرب الجزائري، وكان لها نظام راسخ وتقاليد متينة استوحتها من صلتها بما كان عليه بالتعليم في تلمسان والأندلس والمغرب الأقصى، واستمرت تشع بالمعرفة حتى بعد انتقال العاصمة الإقليمية في مازونة إلى معسكر ثم إلى وهران، فكانت مقصد طلاب النواحي الغربية ولاسيما من ندرومة ومستغانم وتنس وتلمسان ووهران.

الكلمات المفتاحية: مدينة مازونة ؛ المذهب المالكي بشمال أفريقيا ؛ الحقبة الاستعمارية ؛ تاريخ مازونة ؛ الشيخ محمد بن العربي الشرفي.

Abstract: The history of mazuna represents a microcosm of the history of algeria, as it was famous for its malikite school of jurisprudence, which was of great importance in the algerian west, and had a well-established system and solid traditions that were inspired by its connection to what it was like with education in tlemcen, andalusia and Al-Aqsa Morocco, and it continued to radiate knowledge even after the transfer of the capital The regional in Mazouneh to Mascara and then to Oran, was the destination of students from the western regions, especially from Nadroma, Mostaganem, Tennis, Tlemcen and Oran.

Key words : Mazona city; Maliki school in North Africa; colonial era ; Mazona history ; Sheikh Muhammad bin Al-Arabi Al-Sharafi.

◆ المؤلف المرسل

مقدمة:

خلال العهد العثماني استقطب الساحة الثقافية والعلمية في الغرب الجزائري مركزان هامان: الراشدية، معسكر، مازونة ومدرستها الفقهية التي تألق نجمها بعد أفول نجم تلمسان وهجرة علمائها إلى المغرب الأقصى بسبب احتلال الأتراك لها.¹

تعتبر مدينة مازونة التي أنشئت منذ قرون من أهم مراكز الحضارة العربية والإسلامية في الجزائر. وقد اشتهرت بعلمائها البارزين الذين رحلوا إليها واستوطنوها، وكان لمدينة مازونة ومدرستها المالكية نفس المكانة التي كانت لتلمسان أو بجاية.

ارتبط تاريخ هذه المدينة وشهرتها بالمذهب المالكي تعلمًا وتعليمًا من مصادره الأصلية بالقطر الجزائري خاصة والمغرب العربي عامة.

اخترت عنوانا لهذا البحث "محطات تاريخية حول مدرسة مازونة الفقهية"² من خلال تراجع لبعض علمائها ومفتيها بالرجوع إلى مصادر ومراجع متنوعة وكذا بعض الدوريات والجرائد الجزائرية التي ترجع إلى الحقبة الاستعمارية كجريدة النجاح والبلاغ.

تقع قسبة مازونة ضمن تقسيمات بلدية ارنو المختلطة رفقة كل من بومعطي ومديونة وبوحلوفة ووادي سلامة وأهل قورين، قراواو، واريزان، تاغية، جارة، حمادنة.

وبدورها تقع بلدية ارنو المختلطة في تقسيمات دائرة مستغانم رفقة كل من بلدية عمي موسى المختلطة بلدية كاسين المختلطة بلدية جبل الناظور المختلطة بلدية مينا بلدية تيارت المختلطة بلدية زمورة المختلطة ورد في المراسيم التي أصدرتها عمالة وهران فيما يخص الانتخابات للجماعات المحلية في البلديات المختلطة.³

يمثل تاريخ مازونة صورة مصغرة من تاريخ الجزائر، بين مرحلتين مختلفتين العهد العثماني نهضة وازدهار والحقبة الاستعمارية فترة الفتور والضعف.

لقد أضحت مازونة عاصمة للبايليك ابتداء من 1563م على ما يبدو وكان الاختيار استراتيجيا نظرا لموقعها الوسطي فهي تتوسط القبائل ما بين مستغانم وتنس وهي أيضا

1- عجائب الأسفار ولطائف الأخبار، ج1، تحقيق: محمد غالم، ص12.

2- شارك هذا البحث في فعاليات الملتقى الوطني الموسوم بمدرسة مازونة المنجز والإنجاز الحضاري يومي 15-16 فيفري 2023 بجامعة غيليزان.

3- الأرشيف لولاية وهران، علبة رقم: 6988.

على مقربة من الشلف لكن مع مطلع القرن الثامن عشر اتخذ الباي مصطفى أبو الشلاغم مدينة معسكر عاصمة للبايليك.⁴

كانت مدرسة مازونة الفقهية المالكية على درجة كبيرة من الأهمية في الغرب الجزائري، وكان لها نظام راسخ وتقاليد متينة استوحيتها من صلتها بما كان عليه بالتعليم في تلمسان والأندلس والمغرب الأقصى، واستمرت تشع بالمعرفة حتى بعد انتقال العاصمة الإقلمية في مازونة إلى معسكر ثم إلى وهران، فكانت مقصد طلاب النواحي الغربية ولأسيما من ندرومة ومستغانم وتنس وتلمسان ووهران.

وتعد هذه المدرسة من أقدم المدارس التي تأسست في العهد العثماني، حيث تشير لوحة التدشين الموجودة بمدخلها وإحدى الوثائق التقليدية التاريخية، إلى أنها تأسست على يد الشيخ محمد بن الشارف المازوني في سنة 1029هـ / 1619م، وورد في الوثيقة المشار إليها أن ابن الشارف بنى المدرسة من ماله الخاص، ودرس بها أربع وستين سنة إلى أن توفي، وبعد وفاة مؤسسها ابن الشارف المازوني واصل أبنائه وأحفاده مسيرته في نشر العلم، وتداولوا على التدريس بها.

وقد أطنب الشيخ المهدي البوعبدلي في وصف مدينة مازونة ومدرستها الفقهية المعروفة حيث قال: "وقد امتازت هذه المدينة الإسلامية بمدرستها الجليلة التي هي الكلية الفقهية الوحيدة في الوطن الجزائري، امتياز يحق لها أن تفتخر به، ولا أراني مبالغا فيما ذكرت بعد أن عاينت ما كنت أعمله قبل بالتواتر، تلك المدرسة الفسيحة المفتوحة الأبواب ابتساما في وجه كل وافد ترحيبا بكل وارد، ثم لاتزال كافلة له ومتأنقة في إكرامه والقيام بشؤونه أحسن قيام من يوم جاء يعلوه من كآبة الجهل والاعتراب ما يبعث له الرحمة من القلب القاسي إلى يوم تردعه يحمل من نفائس كنازها ومخبأتها.

أشهر الأسر العلمية بهازونة:

كانت السمة الدينية من أهم السمات التي اتسمت بها تشريعات الدولة العثمانية ومعظم تصرفاتها، فقد كان للهيئة الإسلامية وضع معترف به ومركز مرموق، وكان يطلق على رئيسها "المفتي"، وقد اعتمد العثمانيون المذهب الحنفي مذهبا رسميا للدولة، ولعب

4- الدولة الجزائرية الحديثة، سلسلة المشاريع الوطنية للبحث، الأعضاء: أ. زكية زهرة، أ. سعديّة سرقين، ص233.

المفتون في استنبول ومراكز الولايات الأخرى دورا هاما في مختلف المجالات، ثم أصبح المفتي رئيسا للعلماء في عهد السلطان سليمان القانوني (1495-1566).⁵

وقد استأثرت بعض الأسر العلمية بوظيفة الإفتاء وقلما خرجت عنها في أشهر المدن الجزائرية، ففي مدينة الجزائر توارثها بيت قدورة وبيت ابن العنابي، وفي قسنطينة توارثها بيت الفكون، وفي مازونة استأثر بيت الكتروسي بالإفتاء المالكي.

واشتهر بمدينة مازونة عائلة الكتروسي منذ القرن الحادي عشر للهجرة/ السابع عشر ميلادي وحظيت بتأييد ودعم من قبل بايات الغرب الجزائري، وقد تولى عدد من أبنائها منصب الفتوى.

تشير بعض الوثائق إلى انتماء بيت الكتروسي إلى النسب الشريف كالوثيقة المؤرخة سنة 1080هـ/ 1669م وموضوعها هو تعيين الشيخ أحمد بن خدة مفتيا بمازونة وسائر عمالاتها على المذهب المالكي، وإماما بالجامع الكبير ويكون مسؤولا عن أحباسه متكفلا بالزيت والبناء والوظء والحصير، مع أمر السلطات بالمدينة بحمايته وإعفائه من كل الالتزامات المالية.⁶

هناك وثائق تخص تعيين بعض علماء أسرة الكتروسي في العهد العثماني الأخير في منصب الإفتاء منها وثيقة في سنة 1211هـ/ 1797م تعيين الشيخ أبو عبد الله محمد المهدي الكتروسي مفتيا بمازونة وخطيبا وإماما في مسجد أبي ذلول يصلي فيه الصلوات الخمس على سبيل العادة والطريق المعتادة، وفي سنة 1228هـ/ 1813م عين الشيخ نفسه قاضيا بمازونة ونواحيها يفصل في الخصومات ويقسم التركات، وفي وثيقة التعيين عبارة: "وأمرناه يفتي بالمشهور..." والتي قد يفهم منها أنه أضيف له منصب القضاء على منصبه في الإفتاء.⁷

ومن البيوتات التي اشتهرت بالعلم والمعرفة في مدينة مازونة من خير بيوتات الشرف _وهم آل هني_ المتصل نسبهم الهاشمي بالأمير عبد القادر القوي من ملوك

5- أحمد المرسي الصفصافي: الدولة العثمانية والولايات العربية، المجلة التاريخية المغربية، السنة العاشرة، العدد 29، 30 جويلية 1983، تونس، ص 323.
6- لزغم فوزية، البيوتات والأسر العلمية بالجزائر خلال العهد العثماني، ص 317.
7- المرجع السابق، ص 319.

مغراوة وبيت آل هني قد تأصل له الشرف، وعرفت له عراقة في الرياسة العلمية والدراسة تتداول لأفراد العائلة المجبولون على العفة والنزاهة والتواضع وعلو الهمم وأكرم الشيم⁸.

وحسب وثيقة بعثها الحاج محمد المعروف بابن هني إلى حاكم دائرة ارنو renauld سيدي محمد بن علي- عندما طلب منه ذلك سنة 1322هـ/ 1904م يتبين منه تاريخ مدرسة مازونة في العهد العثماني وقد جاء فيها قوله: "فأول من شرع التدريس من أجدادنا في فن الفقه وغيره الشيخ السيد محمد بن المعروف بابن الشارف بن أحمد بن علي بن عبد العزيز الذي كان بوطن مجاهر ومات به وقبره معلوم هناك وعليه قبة بقرب شلف، وترك أملاكا كثيرة من أرض حراثة وبساتين أخذ البايك جميعها... واستمر ذلك البناء إلى أن هدمته الدولة الفرنسية، حين بنائها سنة 1268هـ/ 1852م⁹.

تأثير مدرسة مازونة على شخصية الشيخ الرماصي:

أخذ العلامة الرماصي عن أكابر الشيوخ في عصره، رحل إلى مازونة وأخذ عن علمائها، ونهل واغترف من معين مدرسة مازونة المالكية، مما كان له الأثر البالغ في التأثير على تكوينه، وتوجهه الفقهي، وقد كانت بدايته في أرض مازونة حاضرة العلم وبلد الفقه بالقطر الجزائري، ولم تشر المصادر التي ترجمت للرماصي إلى الشيوخ الذين أخذ عنهم بمازونة إلا إشارة عابرة من الحفناوي الذي لم يسم لنا حتى من أخذ عنه صراحة واكتفى بالتلميح إلى أسلافه، وعدم التوسع في تراجم العلماء هي عادة عرف بها أهل المغرب الإسلامي عموما والمغرب الأوسط على وجه الخصوص¹⁰.

محمد بن علي المازوني:

المعروف بأبي طالب المازوني، ولد أواخر المائة الحادية عشر 11هـ أو مقاربا لأول الثانية عشر 12هـ الموافق لـ 18م، تعلم الشيخ أبو طالب مبادئ القراءة والكتابة، وحفظ القرآن الكريم على يد والده العلامة الفقيه علي بن عبد الرحمان، وذلك بمدرسة مازونة الفقهية التي أسسها جده الأعلى الشيخ محمد بن الشارف.

8- عبد الرحمان ناتش، الشيخ مصطفى بن عبد الله الرماصي ت 1136هـ حياته وآثاره، مذكرة ماستر، ص34.

9- محمد المهدي بن علي، مدرسة مازونة، جريدة البلاغ، العدد 27، السنة الأولى، الجمعة 8محرم سنة 1346هـ/ 8، جويلية سنة 1927م.

10 - عبد الرحمن ناتش، المرجع السابق، ص41

ثم تلقى العلم والفقه على شيوخ مازونة التي بلغت شهرتها في ذلك الزمن الآفاق، حيث وصفت بكونها بلد الفقه والعلم بالقطر الجزائري، واشتهر شيوخها بالتخصص، فبعضهم تخصص ونبغ في شرح مختصر الشيخ خليل، والبعض في اللغة والأدب، والبعض الآخر في القضاء والأحكام والفرائض، وكل مشهور ومعروف بتخصصه ولا يعرف سواه.

كما تلقى رواية الحديث النبوي الشريف وإسناده عن كثير من علماء عصره، وأشهرهم على الإطلاق شيخ الجماعة بالجزائر القاضي المفتي أبي عبد الله محمد بن جعدون، كما كان يروي كذلك عن الشيخ ابن علي الشريف الزواوي.¹¹

تولى الشيخ أبو طالب محمد بن علي المازوني التدريس بالمدرسة الفقهية بعد وفاة والده سنة 1189هـ، وبهذا نصب فيها للتدريس في سن مبكرة، وكانت حلقة العلمية مميزة حافلة بالطلبة، وكان يدرس طلبته مختصر خليل¹² وشرحي الخرشي والزرقاني، كما كان يدرسه الرقائق ورواية الحديث النبوي الشريف وحفظ السند.

اشتهر الشيخ محمد أبو طالب المازوني بقله الإنتاج والتأليف ولا نعرف أنه ترك آثار مكتوبة أو مخطوطات ما عدا: حاشية على شرح الخرشي على مختصر خليل المسماة بـ "درة الحواشي في حل ألفاظ الخرشي" ومؤلف في علم التوحيد.

من أشهر تلاميذه محمد الشارف بن تكوك الذي ولد سنة 1794م بقبيلة مجاهر نواحي مستغانم، والذي يجتمع مع مؤسس الطريقة السنوسية في شرف النسب فهو خطابي حسني إدريسي مجاهري، ودرس أيضا على يد أبي راس المعسكري.¹³

11 - المرجع نفسه ص36

12 - مختصر خليل هو: مُختصر الشيخ العلامة ولي الله تعالى خليل بن إسحاق الذي أوضح به المسالك إذ هو كتاب صغر حجمه وكثر علمه وجمع فأوعى وفاق أضرابه جنسا ونوعا واختص بتبيين ما به الفتوى وما هو الأرجح والأقوى ولم تسمح قريحة بمثاله ولم ينسج ناسج على منواله إلا أنه لفرط الإيجاز كاد يعد من جملة الألغاز، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن محمد بن عبد الرحمان الطرابلسي المغربي، المعروف بالحطاب الرعيني المالكي (ت: 954هـ)، مواهب الجليل في شرح مختصر خليل، ط3، دار الفكر للنشر، 1412هـ_1992م، ص2.

13- عبد المجيد بن نعمة: موسوعة أعلام الجزائر، 1954/1830م، ص322.

ومع اطلاع محمد بن علي المازوني الواسع على العلوم الفقهية والكلامية اشتهر بنزعه التصوفية وحماسه الديني الذي دفعه إلى التوجه على رأس مائتي طالب للمشاركة في فتح وهران، خرج بهم من مدينة معسكر بعد أن انتقل إليها من مازونة.¹⁴

توفي الشيخ أبو طالب سنة 1233هـ الموافق لسنة 1818م بمدينة مازونة بعد أن دامت مدة تدريسه أربع وأربعين سنة.¹⁵

الشيخ أحمد بن هني:

هو أبو العباس أحمد بن هني بن محمد بن علي، تولى التدريس بعد وفاة جده سنة 1233هـ_1818م على أيام العثمانيين، واستمر في وظيفته التعليمية أثناء الاحتلال الفرنسي، ويؤكد وجوده كشيخ بالمدرسة الفقهية تلميذ الشيخ محمد بن علي السنوسي في قوله: "وقرأت على مشايخ مازونة أبي طالب المازوني وعلى حفيده من بعده أبي العباس أحمد بن هني وتحصلت منهما على إجازات..."، ومن آثار الشيخ أبي العباس أحمد هني، "حاشية علي الخرشي في جزئين كبيرين"، و"الشرح الكبير على صغرى الشيخ السنوسي".¹⁶

ترجمة للشيخ محمد بن العربي الشرفي:

من بين الشيوخ الذين تلقى عنهم الشيخ الطيب المهاجي رحمه الله دروسا من الفقه المالكي الشيخ محمد بن العربي الشرفي، حيث ورد في كتابه أنفس الذخائر وأطيب المآثر قوله:

ثم بعدما قضيت أجل إجارتى لتعليم الصبيان، وهو سنة كما تقدم، استأنفت مزاولة الدروس، فقرأت على الشيخ محمد بن العربي الشرفي باب الموارث من مختصر الشيخ خليل وكان مستحضرا لتصحيح المسائل، يفصلها تفصيلا يبلغها إلى العدد الذي تنقسم منه دون كسر، ويعرف بالبداهة من يرث ومن لا يرث، ومن يرث بالفرض أو التعصيب ومن يجمع بينهما، تلقى مسائل الإرث بمدرسة مازونة من شيوخها الذين

14- ناصر الدين سعيدوني: دراسات وأبحاث في تاريخ الجزائر، ص251

15 - بوركبة محمد: عجائب الأسفار، ص48. محمد مفلح: أعلام من منطقة غيليزان، ص64.

16 - المرجع نفسه ص38. محمد مفلح: المرجع نفسه.

يقتصرون دائماً على قراءة متن الشيخ خليل، ولا يخطر على بالهم إقراء غيره من متون الفقه ولا من متون غير الفقه.¹⁷

فدلنا هذا النص إلى عالم جليل من العلماء الذين تخرجوا من مدرسة مازونة الفقهية وأفادنا كذلك إلى الاهتمام البالغ بتدريس الفقه المالكي من مصادره الأصلية والاقتصار على شرح مختصر خليل لأهميته، وكذا ما يدل على كفاءة علماء مدرسة وتمكنهم من شرح متن الشيخ خليل مع صعوبته، وقد حرص فقهاء الجزائر على اقتناء كتب الشراح لسيدي خليل في مكتباتهم وهو المرجع الوحيد لكل المسلمين في المغرب العربي.

إذ المعروف والشائع أن المذهب المالكي هو أكثر المذاهب تيسيراً على الناس سواء في مسائل العبادة أو في قضايا المعاملات، هذا التيسير الذي عرف به المذهب المالكي يرجع إلى عوامل كثيرة أهمها حسب رأي العلماء عاملان أساسيان: أولهما تعدد أصول المذهب، وثانيهما اجتهاد تلامذة الإمام مالك وعلماء المذهب فيما تلا من أزمته.¹⁸

الشيخ محمد مكنوس:

الشيخ الطيب إبراهيم محمد المعروف بسي مكنوس من أرض القعدة ولد سنة 1888م بقرية أولاد سيدي الفريح المهاجي وأخذ العلم بها على يد والده الحاج محمد بن عبد الله ثم هاجر إلى مازونة وقضى فيها عشرة أعوام، كان هذا الشيخ يعتبر من الفقهاء الذين نهضوا نهضة مشكورة في التربية والتعليم، اتصل به عدد كبير من جلة العلماء كالشيخ العربي التبسي الذي كان يزوره بأرض القعدة والشيخ ساحلي محمد الطاهر الجيجلي والشيخ سعيد الصالح، ولشهرته أرسل إليه شيخ المدينة المنورة مولاي بن عبد الحق المكي رسالة بها أسئلة رغبة منه في معرفة مآثره وقد أرخت هذه الرسالة سنة 1916م.

وكان نادرة في الحفظ مستحضراً للنقول، لا يغيب عن ذهنه ما حفظ أو سمع مهما طالت المدة، خلف والده محمد بن الفريح على دروسه،¹⁹ يلقيها في محله وواظب

-الآثار العلمية للشيخ الطيب المهاجي، تصنيف وترتيب الأستاذ ملاح الهواري، مراجعة الدكتور عبد المجيد بن نعمة، مخبر مخطوطات الحضارة الإسلامية، مكتبة الرشاد للطباعة والنشر، سيدي بلعباس، 2004، ص59.

18-دكتور مصطفى الشكعة، الإمام مالك بن أنس، دار الكتاب المصري، القاهرة، ط3، 1411هـ/1991م، ص126.

19-الآثار العلمية للشيخ الطيب المهاجي، ص56.

على ذلك سنوات ثم انتقل إلى الحاضرة "سيق" واستمر بها يفتي ويرشد ويصلح ذات البين إلى أن التحق بالرفيق الأعلى رحمه الله سنة 1949،²⁰ وكان الجمع غفيرا في جنازته وأبنة وصلى عليه الشيخ العربي التبسي ومما جاء في كلمته التأبينية "إننا نواري اليوم جثمان هذا الفقيه الذي يعد من أئمة فقهاء الجزائر وأعظمها علما ومكانة وجاها وقد فقدت الثقافة العربية والقلم العربي واحدا من خيرة الذين أمسكوا بهما عمقا وفكرا ورشاقة وأسلوبا ورقة وعبرة"²¹

شيخ أبي راس الناصري بمازونة:

وقد تخرج من مدرسة مازونة العتيقة شيوخ وأعلام أجلاء يشهد لهم التاريخ بذلك، من بينهم الحافظ المؤرخ أبي راس على يد شيخه العالم أبي طالب محمد بن علي المازوني.²²

أشار الشيخ أبي راس الناصري إلى المعلمين الذين تلقى عنهم العلم بمدرسة مازونة بقوله: ...ثم إنني انتقلت من قراءة الشيخ أبي حلوفة، إلى القراءة على شيوخ مازونة، فجلست في حلقة الشيخ ابن علي بن أبي عبد الله المغيلي، ومنهم السيد العربي بن نافلة، وابنه أحمد من شيوخه أيضا، ومنهم محمد الصادق بن افغول، ومنهم شيخنا أحمد بن نافلة، أخو شيخنا العربي المذكور، ومنهم السيد إسماعيل، وحضرت مجلس محمد القاضي، ومجلس الشيخ محمد بن عوالي وحضرت حلقة الشيخ محمد أبي طالب.²³

وقد أفادنا الشيخ الطيب المهاجي أيضا بالتعريف لشخصية علمية تلقت العلم من الحافظ أبي راس الناصري رفقة الأمير عبد القادر الجزائري بقوله:

كان هذا السيد العلي القدر الرفيع المكانة من أجل علماء بلده وأنبئهم وأغزهم علما إليه المرجع في الفتوى وحل المشاكل العويصة، إذا قال فالقول ما قال لا يلتفت الناس إلى مخالفه كائنا من كان، قرأ العلم على علماء بلده ثم انفرد في معية الأمير عبد القادر بالحافظ الشيخ أبي راس الناصري المعسكري ولازمه حتى صار من أشهر الآخذين عنه والمتخرجين عليه، كان ذات يوم جالسا بمجلس من مجالس الشيخ أبي راس فدخل

20-المرجع نفسه، ص58.

21-انظر: الإعلام بمن حل بوهران من الأعلام للدكتور قدور إبراهيم عمار المهاجي، ص74.

22-الشيخ أبو راس الناصري: عجائب الأسفار ولطائف الأخبار، ج1، تحقيق: بوركة محمص48.

23 - أبو راس الناصري: فتح الإله ومنه...، ص45، نقلا عن: مستورة زينب، دور مدرسة مازونة الفقهية في الحركة العلمية أواخر العهد العثماني، 1830-1740.

عالمان يعرضان على الشيخ مسألة في العقائد قد اختلفا فيها، وكانت في محث الوجدانية فنطق صاحب الترجمة وقال: يكفيننا ما اشتملت عليه سورة الإخلاص من ثبوت الوجدانية لله تعالى وتنزيهه عما لا يليق به جل وعلا فقالا لم يكن كلامنا معك ولا نرضى إلا بما نسمع من الشيخ فقال الشيخ لعلكما لا تعرفانه، هذا هو الشيخ الطيب بن فريح المهاجي ينوه الشيخ أبو راس بشأنه وبمكانته العلمية. رحم الله جميعهم.²⁴

مدرسة مازونة في جريدة النجاح:

نشرت جريدة النجاح الجزائرية الصادرة من مدينة قسنطينة عدة مقالات عن مدرسة مازونة في الفترة الاستعمارية، و من ذلك مقالا بعنوان، إجازة فقهية جاء فيه: "أجيز الفاضل الكبير والعالم المنير وأحد العلماء العاملين وخاتمة الفضلاء المحققين السيد المداحي بن الحاج قدور الحلو من المدرسة الهتاوية أيد الله عمارتها بأنوار العلوم وذلك بعد مكثه بها مدة عديدة واشتغاله بتحصيل علم الفقه وقد حقق الله... وأظهر فيه عجائبه وأنقله من طور المبتدئين إلى طور الممارسين وأخاضه في أحكامه خوضا كما أخذ عن الجهابذة الأفاضل علماء الدين وأئمة المسلمين من شريف العلوم ما به صار من أكابر الأعلام قبلهم الفاضل الأستاذ الشيخ سيدي أحمد بن الشيخ سيدي بوراس والشيخ محمد بن محمد بن عبد الرحمان والشيخ الحاج محمد بن الحاج محمد بن هني أجازوه إجازة مباركة بعد أن رأوا فيه أهلية التدريس التامة أطل الله عمر هؤلاء المشايخ الأعلام وقد تفضل الله تعالى عليهم وعلى أسلافهم الانتفاع بعلومهم بعد تسابق في تحصيلها شرقا وغربا المتسابقون وتنافس في اقتنائها المتنافسون لاحت عليها لوائح القبول وظهرا عليها ثمرات الإخلاص كفى بهذا مدحا وفخرا، هذا وبعد أن تهبأ للظفر قدم الماجد الأديب الشيخ المفتي بن الشيخ بوراس للمدرسة ووفق على إجازة المشايخ المذكورين وألقى خطبة على مسامع الحاضرين فدعا فيها لمستحق الإجازة بصالح الدعاء ودوام العافية فمني مزيد الشكر على سيادة المفتي حيث قدم بنفسه المدرسة وفرح بالطالب المذكور وبارك للمذكور أعلاه والحاضرين في مجلسه بالرفاهية وحسن العافية.²⁵

أفادنا هذا النص في معرفة الطريقة التي يجاز بها الطلبة المتخرجين من مدرسة مازونة، وكذا في معرفة هيئة التدريس في الحقبة الاستعمارية سنوات العشرينيات من القرن الماضي.

24 - الآثار العلمية للشيخ الطيب المهاجي، ص 128.

25 - ابن عزة، مازونة، إجازة فقهية، جريدة النجاح، العدد 333، سنة 1926.

ينتقد الدكتور تركي رايح في كتابه التعليم القومي والشخصية الجزائرية طرق التعليم المتبعة بالزوايا كونها تعتمد على الحفظ والتلقين، أو طريقة المادة التي تعتمد على الإلقاء، والإملاء من جانب المعلمين، وهي الطريقة التي يكون فيها موقف المتعلمين سلبيًا في معظم الأحيان، فالمعلم هو الذي يعد الدرس، وهو الذي يشرحه، وهو الذي يحلل ما يحتاج منه إلى التحليل، والمتعلمون عليهم أن يتقبلوا ما يقوله المعلم، بالقبول والتسليم في معظم الأحيان.

أما التعليم في المدارس العصرية فإن طريقة التدريس المتبعة فيها في الغالب هي الطريقة الحيوية أو الفعالة التي تعتمد على إيجابية المتعلم، وفعاليتها، بحيث لا يكون متلقيا فقط ولكن يشارك في الدرس من أوله إلى آخره، وذلك من خلال السؤال والجواب، والحوار المتبادل بينه وبين المعلم.²⁶

ومع كل احتراماتنا لصاحب هذا الرأي يمكن القول إن ما قدمه شيوخ الزوايا، والمدارس الحرة من تعليم وتلقين لمبادئ الشريعة الإسلامية والفقهاء المالكي خاصة مما حفظ للأمة الجزائرية دينها ولغتها، وهويتها.

معلومات عن المسمى محمد بن جلول بن شهيدة مولود في 1884 أصله من دوار واريان بلدية رنو المختلطة متزوج في مصر مع فاتية عبد الجوار المغربي.

ترك الجزائر في 1913 لم يتصل مع أهله ووالديه في الجزائر منذ 20 سنة. الحالة المادية لأبويه: يسكنون حاليا في المركز البلدي لهازونة أين يملك أحد أعمامه مقهى عربي. café maure بعيدا عن أية حركات أو مظاهرات ذات طابع سياسي من الطلبة الجزائريين المسلمين المتواجدين بمصر وبطلب من الحاكم العام عن معلومات حول الطلبة الآتية أسماؤهم :

__ السيد الصغير أحمد بن جيلالي الأصل عين كومان.

__ بن ميلود عبد القادر بن عايش ولد الحاج أحمد المدعو عبد القادر

__ محمد بن جلول بن شهيدة الأصل من دوار واريان رنو المختلطة.²⁷

26-تركي رايح، التعليم القومي والشخصية الجزائرية، ط 2، الجزائر، ص295.

27-مصلحة الأرشيف لولاية وهران، علبة رقم 4476، مازونة في 12 ماي 1941.

ومن أبناء مازونة الذين درسوا بالأزهر الشريف بمصر المسمى أحمد البغدادي ، حسب ما أدلى به مفتي وهران الشيخ أبو الحبال²⁸ أثناء زيارته لمصر سنة 1943.²⁹

ومن الوثائق التاريخية التي تعكس ما آلت إليه مازونة في الفترة الاستعمارية وثيقة ورد فيها شكوى من أبناء مازونة ضد تصرفات وأعمال مخالفة للأداب والأعراف واستغلال المنصب، وقد وجهت هذه الرسالة إلى الوالي العام بعمالة وهران، ورد فيها:..قد علم سكان مازونة بسخط ..أن من بين وجهاء القوم الذين حضروا عرض مسرحي مقدم من مجموعة محي الدين باشتارزي بمسرح وهران لفائدة السجناء المسلمين وجد رجل من وجهاء مازونة، وأشار صاحب الرسالة أن مازونة لا تملك زاوية حقيقية، والطلبة الذين يزاولون دروسهم في الحقوق في المدرسة هم تحت متابعة المفتي ويأكلون مجاناً من طرف سكان المنطقة. .. كان ينوي من وراءها استغلال ثقة الناس الكرماء، وبهذا اللقب أيضا يستطيع أن يتحصل على القهوة والسكر والصابون والحليب والسميد... إلخ، من طرف مصلحة المؤونة ثم يقوم ببيع هذه السلع بأثمان باهظة، على علم ومرأى الجميع مع تسامح سلطات وسط مازونة، مؤخرا تلقى قسيمة مؤونة، من طرف نفس المصلحة هذه القسيمة كانت موجهة إلى هي خاصة بالسميد مقدر بـ 10 قناطر حيث وضعها عند سقالي صاحب مطحنة في غليزان، باع هذا السميد بالفائدة حيث باع قنطارين لفائدة مازونة، وكذلك استفاد من قسيمات لمادة البنزين وهذا يؤدي حتما إلى خسارة في الاقتصاد الوطني.

يعطي مقدار من هذا البنزين للمتواطئين معه الذين يسترونه أما الآخر يستعمله لتنقلاته المتعددة إلى وهران. في كل مرة يسافر إلى وهران تكون سيارته مملوءة بالدجاج والبيض واللحوم والخضر ثم يوزعها عند وصوله على أناس أصحاب مراكز هامة الذين يساعدونه ويسهلون له اعماله الدنيئة. ومن جهة أخرى يعرف ياخوانه عبد الرحمان محمد وأحمد وآخر ملقب بين هقوش أحمد بن عبد الله هذا الأخير أصبح يعمل بمساعدتهم كجندي مراسلة أو حارس في إدارة عسكرية بوهران.

28-حسن بو الحبال، شاعر، أديب، ولد سنة 1897 وابتدأ في اقتناء العلم سنة 1909 وانكب على طلبه حتى تخرج من الجامع الأعظم بتونس، ثم تصدى لنشره مدرسا في باتنة وخنشلة متنقلا مع والده المتقلد خطة القضاء إلى أن استقر به المقام في مدينة عين البيضاء وانتفع بدروسه خلق كثير. واشتغل بالتدريس، وانضم إلى الحركة الإصلاحية فكان من شعرائها المعروفين، تميز شعره بالفكاهة والسخرية، من آثاره "ديوان شعر" مخطوط، عادل نويهيض، معجم أعلام الجزائر، ص 46.

29-الافتاء والمفتون في الجزائر، ملاح الهواري ص 137

هناك يملك علاقات وطيدة مع سلطات عليا عسكرية ومدنية وبهذا اللقب يستطيع أن يتحصل وبواسطة المال تعيينات كقائد..وأن يعفي معارفه من الخدمة الوطنية والتحصيل كذلك على جواز السفر لمن يريد أن يعمل في فرنسا، هذه الشائعات أصبحت مؤكدة عن طريق الحضور المتكرر للملازم لدرك غليزان، لطاولته وكذلك شخصيات أخرى، هذا الشخص الذي لا يملك لا مهنة ولا ثروة شخصية، إلا أن نفقاته يستعملها لغطاء أعمال غامضة ومريبة هذه الأعمال كلها منسوبة إليه وإلى آخرين كما أثبتت ذلك التحقيقات ستؤدي حتما إلى نزع الثقة من السلطات والإساءة إلى الإدارة، لأن الشعب الذي ظن بأن عهد الاستبداد قد ولى أصبح الآن يلاحظ بأسف بأن هذا الأسلوب لا يزال سائدا بحجم كبير.³⁰

وقعت هذه الحادثة أيام الحرب العالمية الثانية سنة 1939م حيث اشتدت الضائقة وضربت أطنابها على القطر الجزائري بأكمله —حسب ما أدلى به الشيخ الطيب المهاجي- وكادت المرافق الحيوية تفقد خصوصا المواد الغذائية حتى أنها لقلتها صارت توزع على السكان مرة في الأسبوع أو الشهر بواسطة أوراق متعددة بعدد أفراد العائلة لكل فرد ورقة بها اسمه وبأسفلها خاتم متصرف الحكومة، ولا تسأل عما يروج من الرشوة بين أصحاب الأوراق والتمولين للتوزيع، فمن بذل رشوة يقدم على غيره ويأخذ نصيبه ومثله معه، لهذا ترى الناس يبذلون قسارى جهدهم في الإهداء لأجل إمالة متولي التفرقة وعطفه عليهم، والضرورات تبيح المحظورات، وباليتهم كانوا يأخذون كفايتهم يوميا، ولكنهم لم يأخذ الواحد منهم إلا شيئا تافها لا يسمن ولا يغني من جوع.³¹

الخاتمة: بالرغم مما اشتهر به العهد العثماني في الجزائر من ركود ثقافي كشأنه في باقي البلاد العربية إلا أن مازونة خرجت عن هذا الركود ومثلت صفحة ناصعة في المجال الثقافي خلال هذا العهد.

وقد اشتهرت مدرسة مازونة بتعليم الفقه المالكي من مصادره الأصلية والاقتصار على شرح مختصر خليل مع صعوبته، وقد حرص فقهاء الجزائر على اقتناء كتب الشراح لسيدى خليل في مكتباتهم وهو المرجع الوحيد في الفقه لكل المسلمين في المغرب العربي.

حيث كانت مدرسة مازونة الفقهية المالكية على درجة كبيرة من الأهمية واشتهرت كمركز من مراكز الحضارة الإسلامية، وقد ارتبط تاريخ الفقه المالكي بالمغرب الأوسط بتاريخ هذه

30-مصلحة الأرشيف لولاية وهران، علبة رقم 4476، مازونة في 12 ماي 1941.

31-الأثار العلمية للشيخ الطيب المهاجي، ص96، 97.

المدينة التي كان يفد عليها طلاب العلم من مختلف نواحي القطر الجزائري فيقيمون بها زمنا ثم يرحلون لنشر وتعليم المذهب المالكي.

المصادر والمراجع:

- 1-مصلحة الأرشيف لولاية وهران: رقم العلية: 4476، مازونة في 12 ماي 1941.
- 2-// : رقم العلية: 6988، الطلبة المسلمين الجزائريين بمصر، 1946، مصلحة الاستخبارات.
- 3-ابن عزة، مازونة إجازة فقهية، جريدة النجاح، العدد 333، الجمعة 11 صفر 1345هـ/ 20 أوت 1926م.
- 4-محمد المهدي بن علي، مدرسة مازونة، جريدة البلاغ، السنة الأولى، العدد 27، الجمعة 8 محرم سنة 1346هـ/ 8 جويلية سنة 1927م.
- 5-د. أحمد المرسي الصفصافي: الدولة العثمانية والولايات العربية، المجلة التاريخية المغربية، السنة العاشرة، العدد 29، 30 جويلية 1983، تونس.
- 6-الشيخ الطيب المهاجي: أنفس الذخائر وأطيب المآثر في أهم ما اتفق لي في الماضي والحاضر، الشركة الجزائرية للطبع والأوراق، وهران، 1966.
- 7-عادل نويهض: معجم أعلام الجزائر، ط2، مؤسسة نويهض الثقافية، بيروت، 1983.
- 8-د. عبد المجيد بن نعيمية: موسوعة أعلام الجزائر 1830/1890م، المركز الوطني للدراسات والبحث، الجزائر، 2007.
- 9-بوركية محمد: عجائب الأسفار ولطائف الأخبار، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، الجزائر، 2012.
- 10-ملاح الهواري: الآثار العلمية للشيخ الطيب المهاجي الجزائري، مكتبة دار الرشاد، سيدي بلعباس الجزائر، 2004.
- 11-ناصر الدين سعيدوني: دراسات وأبحاث في تاريخ الجزائر، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، الجزائر، 1985.
- 12-تركي رابح: التعليم القومي والشخصية الجزائرية، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1981.
- 13-د. مصطفى الشكعة: الإمام مالك بن أنس، ط3، دار الكتاب القاهرة، 1411هـ/1991م.

- 14-شمس الدين أبو عبد الله محمد الطرابلسي المغربي، المعروف بالحطاب الرعيني المالكي (ت: 954هـ): مواهب الجليل في شرح مختصر خليل، ط3، دار الفكر للنشر، 1412هـ_1992م.
- 15-مفلاح محمد: أعلام من منطقة غيليزان، مطبعة دار هومة، الجزائر، 1994.
- 16-غاليم محمد: عجائب الأسفار ولطائف الأخبار، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، الجزائر، 2005.
- 17-غطاس عائشة: الدولة الجزائرية الحديثة، المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر، وهران، 2007.
- 18-ملاح الهوارى: الإفتاء والمفتون في الجزائر خلال فترة الاحتلال الفرنسي، أطروحة دكتوراه، جامعة وهران 1.
- 19-لزغم فوزية: البيوتات والأسر العلمية بالجزائر خلال العهد العثماني، أطروحة دكتوراه، جامعة وهران 1.
- 20-عبد الرحمن ناتش: الشيخ مصطفى بن عبد الله الرماصي، أطروحة ماستر، جامعة وهران 1.